*المسند، ومتعلقات الفعل*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ فاطمة السيد العشرى

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*fatma.alsayed@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في المسند، ومتعلقات الفعل**

**الكلمات المفتاحية : الجملة الاسمية ، علم المعاني ، المعلوم**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن المسند، ومتعلقات الفعل**

1. **عنوان المقال**

**إن المسند لدى البلاغيين، يُمثل الخبر في الجملة الاسمية، ويمثل الفعل في الجملة الفعلية، وهو عكس ما عليه الحال في المسند إليه، وإنما يأتي حديثنا لباب التقديم والتأخير في إطار تطبيق نظرية عبد القاهر، على بعض أبواب علم المعاني، بعد أن عرضنا لما وضعه من نظريات لقواعد، وأسس، وأصول هذا العلم الشريف.**

**ومن المعلوم بداهة أن المسند إليه إذا كان مبتدأً، فرتبته التقديم، نحو: زيد خائن، وعمرو منطلق، وإذا كان فاعلًا، فرتبته التأخير، أي: الوقوع بعد الفعل المسند، نحو: قام زيد، ويعطي محمد الجزيل، وإذا قُدم المسند إليه على خبره الفعلي؛ كان ذلك لأسرار بلاغية على نحو ما عرفنا، وكذلك إذا قُدم المسند على المسند إليه، الذي رتبته التقديم وهو المبتدأ؛ فإن هذا التقديم يكون لأسرار ومزايا بلاغية أيضًا، أهمها: إفادة القصر، أي: قصر المسند إليه على المسند المقدم، كما في قول الله تعالى: {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ} [الكافرون: 6]، والمعنى: إن دينكم الذي هو الإشراك بالله، مقصور على كونه لكم لا يتجاوزكم إليَّ، وديني الذي هو التوحيد، مقصور على كونه لي لا يتجاوزني إليكم، فالمقصور عليه هو المسند المقدم، والمقصور هو المسند إليه المؤخر، وكذا القول في الآيات الكريمات: {ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ} [الأنبياء: 97]، {ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ} [الغاشية: 25- 26]، {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ} [القيامة: 29- 30]، {ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ} [القيامة: 12].**

**وكان يمكن أن يقال في غير القرآن، "واقترب الوعد الحق، فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة"، أو يقال: إن إيابهم إلينا، وإن حسابهم علينا، والمستقر يومئذٍ إلى ربك، والمساق يومئذٍ إلى ربك، لكن لا يفيد من القصر، ما أفاده ما جاء في قول الله تعالى، فالتقديم إذًا في هذه الآيات الكريمات؛ أفاد قصر المسند إليه المؤخر، على المسند المقدم، ومن ذلك قول الله تعالى في وصف خمر الجنة: {ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ} [الصافات: 45- 47]، فتقديم الجار والمجرور، في قوله: {ﯸ ﯹ ﯺ}؛ أفاد نفي الغول عن خمر الجنة، وإثباته لخمور الدنيا، أو بمعنى آخر، أفاد قصر عدم الغول على خمر الجنة؛ بحيث لا يتجاوزه إلى خمور الدنيا، ولو قيل: لا غول فيها؛ لأفاد ذلك مجرد الغول عن خمر الجنة، دون تعرض لخمور الدنيا؛ ولذا جاء قوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ} [البقرة: 1 - 2]، كذا بدون تقديم؛ إذ المراد نفي الريب عن القرآن، دون تعرض لغيره من الكتب السماوية الأخرى، ولو قيل: لا فيه ريب؛ لأدى هذا إلى نفي الريب عن القرآن، وإثباته لغيره، وهو غير مراد، وهذا يدل على دقة ما جاء به اللفظ القرآني الكريم.**

**ومن أقوالهم، قول أبي العلاء:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تعب كلها الحياة فما أعجب** | **\*** | **إلا من راغب في ازدياد** |

**فقد أفاد التقديم هنا قصر الحياة على التعب، قصرًا ادعائيًّا، أي: أن ما فيها من فترات الراحة والأنس والمسرة، لا اعتداد به.**

**ومنه قول آخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **رضِينا قسمةَ الجبار فينا** | **\*** | **لنَا علْمٌ وللأعداء مال** |

**كذا بتقديم المسند -لنا- الجار والمجرور.**

**وقول آخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وليس بمغن في المودة شافع** | **\*** | **إذا لم يكن بين الضلوع شفيع** |

**وقول آخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إذا نطق السفيه فلا تجبه** | **\*** | **فخير من إجابته السكوت** |

**ولا يخفى عليك معرفة موطن التقديم فيما سبق من أبيات، والمقصور، وموقع المقصور عليه، في هذه الأبيات السابق ذكرها، وأن الأصل في كل ما ذكرنا من أمثلة: رضينا قسمة الجبار فينا علم لنا، ومال للأعداء، أو يقول: إذا لم يكن شفيع بين الضلوع، فلا تجبه فالسكوت خير من إجابته، وهكذا.**

**ومن أسرار تقديم المسند، ونكاته البلاغية غير ما سبق ذكره في مسألة القصر، التنبيه من أول الأمر على أن المسند خبر لا نعت، كما في قول حسان بن ثابت > في مدح الرسول :**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **له همم لا منتهى لكبارها** | **\*** | **ومهمته الصغرى أجل من الدهر** |

**لأنه لو قال: همم لا منتهى لكبارها؛ لتوهم أن الجار والمجرور نعت، وليس خبرًا؛ لأن النكرة تحتاج إلى الوصف، حتى يكون مسوغًا للابتداء بها؛ ولتوهم أن الخبر هو الجملة بعده، وهذا لا يتفق مع غرض المدح؛ لأن الشاعر يريد مدح الرسول  لا مدح هممه.**

**ومن هنا جاء على غرار ما سبق، قوله تعالى: {ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ} [البقرة: 36]، حيث قدم الجار والمجرور –لكم- على المسند إليه –مستقر- لدفع توهم أنه نعت، وليس بخبر.**

**ومن نكات تقديم المسند البلاغية غير ما سبق، إفادة التشويق إلى ذكر المسند إليه، كما في قوله : ((منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال)).**

**وكقول محمد بن وهيب، في مدح أبي إسحاق:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها** | **\*** | **شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر** |

**وقول آخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ثلاثة يذهبن الغم والحزن** | **\*** | **الماء والخضرة والوجه الحسن** |

**وقول آخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ثلاثة ليس لها إياب** | **\*** | **الوقت والجمال والشباب** |

**وقول ابن الرومي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وكالنار الحياة فمن رماد** | **\*** | **أواخرها وأولها دخان** |

**فتقديم المسند في هذه الشواهد، أفاد التشويق إلى معرفة المسند إليه، والإفصاح عنه، ولا يخفى عليك القصر في البيت الأخير، أي: قصر الحياة على كونها نارًا، لا استقرار فيها.**

**ومن أسرار تقديم المسند أيضًا، إفادة التفاؤل، كما في قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **سعدت بغرة وجهك الأيام** | **\*** | **وتزينت ببقائك الأعوام** |

**فالمسند -وهو الفعل سعدت- قد قدم؛ ليفيد التفاؤل؛ لأنه من جنس السرور والسعادة، وكذلك الفعل -تزينت- قدم على المسند إليه –الأعوام- بنفس الغرض.**

**ومن أسرار تقديم المسند أيضًا، إظهار التألم والتضجر، كما في قول المتنبي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ومن نكد الدنيا على الحُر أن يرى** | **\*** | **عدوًّا له ما من صداقته بُد** |

**إلى غير ذلك من الأغراض التي تقتضي تقديم المسند على المسند إليه.**

**ولو انتقلنا بدورنا إلى الحديث عن التقديم، في باب المعمولات أو المتعلقات، وهي كل ما زاد عن الفعل والفاعل في الجملة الفعلية، من نحو الجار والمجرور، والمفعولات، والحال إلى آخره، وتتبعنا ما لتقديم المفعول، ونحوه من المتعلقات على الفاعل من نكاية، وأسرار بلاغية؛ لوجدنا أن هذا التقديم، يفيد غالبًا الاختصاص، أي: قصر العامل المؤخر، على معموله المقدم، تقول: زيدًا أكرمت، وبمحمد مررت، فتقصر الإكرام على زيد، والمرور على كونه بمحمد، وتقول أيضًا: ضاحكًا جاء زيد، وإشفاقًا أعطيت، فتقصر مجيء زيد على هيئة الضحك، وإعطائك على كونه من أجل الإشفاق، ومن ذلك قول الله تعالى: {ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ} [الفاتحة: 5]، أي: نخصك بالعبادة، فلا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة، فلا نستعين إلا بك، فتقديم المفعول "إياك" في الموضعين قد أفاد القصر، أي: قصر العبادة، والاستعانة عليه تعالى، وهذا نقرؤه في كل ركعة من ركعات الصلاة، حتى نزداد توحيدًا وتقربًا إلى الله  وعدم اعتقاد في غير الله في جلب نفع، أو دفع ضُر، كما يحدث من كثير من الجهلة في هذه الأيام.**

**ومن ذلك قول الله تعالى في الآيات الكريمات: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ} [آل عمران: 158]، وقوله: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ} [التوبة: 129]، وقوله: {ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ} [البقرة: 172]، وتقديم المعمولات "إلى الله"، و"عليه"، و"إياه"، في الآيات الماضية؛ أفاد الاختصاص.**

**ومن ذلك أيضًا، قول شوقي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بالعلم والمال يبني الناس ملكهم** | **\*** | **لم يُبنَ ملك على جهل وإقْلال** |

**فتقديم الجار والمجرور –بالعلم- أفاد قصر بناء الملك على كونه بالعلم والمال.**

**ومثله قول آخر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إذا شئت يومًا أن تسود عشيرة** | **\*** | **فبالحلم سُد لا بالتسرع والشتم** |

**وقول غيره:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **على الأخلاق خط الملك وابن** | **\*** | **فليس وراءها للعز ركن** |

**فقد قصر السيادة في البيت الأول على الحلم، بحيث لا تتعداه إلى التسرع والشتم، وقصر بناء الممالك وخطها في البيت الثاني، على الأخلاق، فليس وراءها للعز ركن، والعامل المقدر في كل ما ذكرنا، كالمذكور، فقولك: زيدًا عرفته إن قُدِّر المفسر بعد المنصوب، أي: زيدًا عرفت عرفته، أفاد التخصيص، وإن قُدر قبله، أي: عرفت زيدًا عرفته، أفاد التوكيد وتقوية الحكم.**

**أما قول الله تعالى: "وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى" [فصلت: 17]، في قراءة من قرأ بنصب ثمود، فلا يفيد إلا الاختصاص؛ لأنه لا يتأتَّى أن يقدر المفسر قبل المنصوب، فلا يقال: أما فهدينا ثمود؛ ولكون تقديم المعمول على عامله، يفيد غالبًا الاختصاص، كان من الخطأ أن تقول: ما زيد ضربت، ولا غيره؛ لأن تقديم المفعول وإيلائه أداة النفي، أفاد نفي الضرب عن زيد، وإثباته لغيره، وقولك بعده: ولا غيره؛ يناقضه ويدفعه، أي: أن عجُز الجملة يتناقض مع صدرها. ونحوه قولك: ما بهذا أمرتك، ولا بغيره؛ لأن قولك ما بهذا أمرتك، أفاد نفي الأمر عن الجار والمجرور المقدم، وإثباته لغيره، وقولك بعده: ولا بغيره يناقضه، والصواب أن يقال: ما ضربت زيدًا ولا غيره، وما أمرتك بهذا ولا بغيره، كذا بدون تقديم، أو يقال: ما زيدًا ضربت، بل عمرًا، وما بهذا أمرتك، لكن بغيره، وكذا من الخطأ أن تقول: ما زيدًا ضربت، ولكن أكرمت؛ لأن تقديم المفعول أفاد نفي الضرب عن زيد، وإثباته لغيره، وقولك ولكن أكرمت، رجوع عن إثبات الضرب لغير زيد، فالصواب أن تقول: ما ضربت زيدًا، ولكن أكرمته، أو تقول: ما زيد ضربت، ولكن عمرًا، وهو مبني -كما قلنا- على إفادة التقديم؛ للاختصاص.**

**وتأمل معي قول الله تعالى: {ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ} [البقرة: 143]، فإنك تجد الجار والمجرور، قد أُخِّر على شبه الفعل في قوله تعالى: {ﭯ ﭰ ﭱ}، وقُدم عليه في قوله تعالى: {ﭴ ﭵ}؛ وذلك لأن الغرض في الأول، إثبات شهادتهم على الأمم دون إفادة اختصاصهم بتلك الشهادة، وفي الثاني، المراد إفادة اختصاصهم بكون الرسول  شهيدًا عليهم، وليس مجرد إثبات شهادته.**

**ويقول الزمخشري، في كتابه: (الكشاف): "وروي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد  فيشهدوا، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد  فيُسأل عن حال أمته؛ فيزكيهم، ويشهد بعدالتهم، وذلك قوله تعالى: {ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ} [النساء: 41]، وقيل المعنى: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصلح إلا بشهادة العدول الأخيار، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، يُزكِّيكم ويُعلِم بعدالتكم، فإن قلت: لما أخرت صلة الشهادة أولًا وقدمت آخرًا، قلت -كذا يقول الزمخشري-: "لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم لكون الرسول  شهيدًا عليهم".**

**ثم اقرأ قول الله تعالى: {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ} [الروم: 27]، وقوله : {ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [مريم: 21]، تجد أن الجار والمجرور، قد أُخر في الآية الأولى؛ لأنه لا معنى للدلالة على الاختصاص فيها؛ إذ كون الإعادة أهون من البدء، أمر مسلم به لا ينكره أحد، أما في الآية الثانية، فقد قُدم الجار والمجرور للدلالة على الاختصاص؛ لأن المقام يقتضي ذلك.**

**وقد يفيد التقديم بالإضافة إلى الاختصاص مزية أخرى، وهي المحافظة على الفواصل، والاستمرار في التنغيم الصوتي، على نحو ما ترى في قوله تعالى: {ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ} [الحاقة: 30- 32]، فتقديم المفعول، وهو كلمة {ﰀ}، والجار والمجرور، وهو قوله تعالى: {ﰄ ﰅ}، يفيد الاختصاص، والمحافظة كذلك على الفاصلة، واستمرار النغم الصوتي المؤثر في الأنفس.**

**ومثل ذلك قوله تعالى: {ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ**

**ﯙ ﯚ ﯛ} [المدثر: 1 5]، وقد يقدم المعمول؛ لكونه محل الإنكار، كما في قوله تعالى: {ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ} [الأنعام: 164]، فمحل الإنكار، وهو كون غير الله بمثابة أن يُبغى ربًّا، وكان سببًا في تقديمه؛ ولذا قُدم فولي همزة الاستفهام.**

**ومن ذلك قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أبَعد المشيب المنقضي في الذوائب** | **\*** | **تحاول وصل الغانيات الكواعب** |

**فموضع الإنكار، هو كون محاولة الوصل بعد ظهور المشيب في الذوائب؛ ولذا قُدم الظرف –بعد- فولي الهمزة، وقد يكون التقديم للتوكيد، ولاهتمامه بالمقدم، وتقوية الحكم، كما في قوله تعالى: {ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ} [الضحى: 9 ،10]، فتقديم اليتيم والسائل؛ لتأكيد النهي وتقرير الحكم؛ إذ لا معنى لقصر النهي عن القهر على اليتيم، والنهي عن النار على السائل، ولا يخفى عليك ما وراء التقديم، من مجيء الفاصلة في الآيتين على حرف الراء، وما ينبئ به ذلك من شدة الزجر، وقوة التحذير، وتقول: عن الصلاة لا تغفل، والزنى لا تقرب، فيفيد التقديم المبالغة في النهي وشدة التحذير.**

**وعلى نحو ما يقع تقديم المعمولات على العامل ويكون لنقطة بلاغية، فإنه يقع بين المعمولات نفسها، بأن يُقدم بعضها على بعض؛ ويكون ذلك أيضًا لنكتة بلاغية، ذلك أن الأصل في صياغة الكلام، وبناء الجمل، وتأليف العبارات، أن يُقدم الفاعل على المفعول، ونحوه من المتعلقات، وأن يتقدم المفعول الأول على الثاني، والثاني على الثالث، فيقال: أكرم محمد خالدًا، وأعطى حاتم الفقير درهمًا، وأعلمت عمرًا ابنه ناجحًا.**

**وقد يُخالف هذا الأصل، فيُقدم أحد المعمولات، أو المتعلقات على الفاعل، أو تُقدم بعض المتعلقات على بعض؛ وذلك لأسرار بلاغية يقصد إليها البلاغي، ويقتضيها المقام، فإذا كان الغرض من الكلام معرفة وقوع الفعل على المفعول، وانشغل الناس بذلك؛ قُدِّم المفعول على الفاعل، فيقال في تقديم المفعول: قتل الخارجي عمرو، وأمسك بالمجرم الشرطي؛ وذلك لأن الناس منشغلون بأمر الخارجي والمجرم، والغرض من الكلام متوجه إليهما، وتأمل في ذلك قول الله تعالى: {ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ} [الأنعام: 151]، وقوله : {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} [الإسراء: 31]، تجد في الآية الأولى: {ﯨ ﯩ ﯪ}، حيث قُدم ضمير المخاطبين على ضمير الأولاد، وفي الآية الثانية: {ﮀ ﮁ ﮂ}، قدم ضمير الأولاد على ضمير المخاطبين، والسبب في ذلك أن الخطاب في الأولى للفقراء، بدليل قوله تعالى: {ﯥ ﯦ}، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أبنائهم؛ إذ هم في حاجة إليه؛ ولذا قُدِّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الآية الثانية للأغنياء، بدليل قوله تعالى: {ﭽ ﭾ}، فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع؛ فكان رزق أولادهم هو المطلوب، دون رزقهم؛ لأنه حاصل؛ ولذا قُدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم.**

**وانظر إلى قول الله تعالى: {ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ} [الأنعام: 100]، وهذا قد تعرض له الإمام عبد القاهر، في كتابه: (دلائل الإعجاز)، فقد قالوا: أن مفعولي جعل قوله: {ﯧ ﯨ}، وقال آخرون: "الجن" مفعول أول، و"شركاء" مفعول ثاني. وعلى كلا الرأيين فقد قُدم لله -وهو المفعول الثاني- لجعل، أو متعلق المفعول الثاني على الرأي الآخر، قدم على المفعول الأول؛ وذلك لأن تقديمه أبلغ في الإنكار، وأقوى في الردع والزجر، وقارن في ذلك بين قول الله تعالى: {ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ}، وقولنا: وجعلوا الجن شركاء لله، فسوف ترى بُعد ما بين القولين، وتلحظ أن محل الإنكار، وموضع العناية والغرض من الكلام، هو الجار والمجرور-لله- ولذا قُدم؛ ليكون الزجر أقوى والتحذير أشد.**

**واقرأ قوله تعالى: {ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ} [النمل: 67 - 68]، وقارن ذلك بقوله تعالى: {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ} [المؤمنون: 81- 83]، تجد في الآية الأولى: {ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ}، وفي الثانية: {ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ}؛ وذلك لأن السياق في الآية الأولى، ينبئ بأن مصبَّ الإنكار وموضعه، والجهة التي نظر إليها الكفرة وقصدوها بإنكارهم، إنما هي البعث، فبعثهم وإخراجهم بعد موتهم، وصيرورتهم ترابًا هم وآباؤهم، هو الغرض الذي تُعُهد بالكلام وقُصد، أي: أئذا كنا ترابًا وآباؤنا أئنا لمخرجون؛ ولذا قُدم اسم الإشارة المشار به إلى البعث، إذ هو الغرض المقصود والمساق له الكلام.**

**أما في الآية الثانية، فالسياق يُنبئ بمدى تمسكهم بعقائد الآباء، وحرصهم على محاكاتها، وتقليدهم فيها، فموضع الإنكار ومصبُّه، والجهه المنظور منها، هم المبعوثون لا البعث، فُهم من سياق الحديث والغرض الذي تُعُمد به وقصد {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ} ولذا قدموا هم وآباؤهم على اسم الإشارة المشار به إلى البعث {ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ}، فلما كان الغرض المقصود في الآية الأولى هو البعث، قُدم اسم الإشارة، ولما كان الغرض المقصود في الآية الثانية هم المبعوثون؛ قُدم ما يدل عليهم {ﮦ ﮧ} وهكذا.**

**وقد يكون الغرض من تقديم أحد المعمولات على الآخر، هو أن تأخيره يخل بالمعنى، ويوهم خلاف المراد، كما في قول الله تعالى: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ} [غافر: 28]، فقد وصف الرجل بثلاث صفات: بالإيمان، وبكونه من آل فرعون، وبكتمانه إيمانه، وقدم من آل فرعون على يكتم إيمانه؛ لأنه لو أُخِّر، فقيل: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه، من آل فرعون؛ لتوهم أن الجار والمجرور متعلق بالفعل يكتم، وأن الرجل يكتم إيمانه خوفًا من آل فرعون، وفي هذا إخلال بالمعنى المراد؛ إذ لا يفهم منه عندئذٍ، أن الرجل كان من آل فرعون، بل يتوهم أنه كان يكتم إيمانه خوفًا منهم، وفي هذا ضياع للهدف والغرض من الآية؛ إذ المراد: إبراز عناية الله تعالى ورعايته لموسى # بأن جعل من آل فرعون من يدافع عنه، ويجادلهم فيه، ويناقشهم من أجله.**

**وتأمل غير ما سبق، قول الله تعالى: {ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ} [المؤمنون: 33]، وقارنه بقوله : {ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ} [المؤمنون: 24]، تجد الآية الأولى، قد قدِّم فيها الجار والمجرور: {ﮤ ﮥ}، على صفة الملأ، وهي: {ﮍ ﮎ ﮏ}؛ وذلك لأنه لو أخر فقيل: وقال الملأ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة، وأترفناهم في الحياة الدنيا، من قومه؛ لتوهم أنه من صلة الدنيا، وأن المعنى وأترفناهم في الحياة الدنيا من قومه، أي: القريبة منهم.**

**وبذا يقول القائلون: ليسوا من قومه؛ فدفعًا لهذا التوهم قدم الجار والمجرور، وقد نشأ التوهم من طول الصفة بالصلة، وما عطف عليها، كما هو واضح في الآية.**

**أما في الآية الثانية، فليس فيها ما يوهم خلاف المراد، ولذا تأخر الجار والمجرور، فلم يُقدَّم على الصفة.**

**هذا وقد يقدم أحد المتعلقات؛ لإفادة التبكيت والتوبيخ، كما في قول الله تعالى: {ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [يس: 20، 21].**

**حيث قدم الجار والمجرور: {ﮞ ﮟ ﮠ} على الفاعل، وهي كلمة: {ﮡ}؛ لأن في هذا التقديم زيادة في تبكيت أولئك القوم وتوبيخهم، وقد كانوا قريبين من الرسول وشاهدوا منه ما لم يشاهده ذلك الرجل الذي كان في أقصى المدينة، وعلى الرغم من ذلك فقد نصح لهم بما لم ينصحوا به أنفسهم.**

**واقرأ قوله تعالى بالمقارنة بما سبق: {ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ} [القصص: 20]، تجد أن الجار والمجرور، لم يقدم على الفاعل، كما قُدم في الآية السابقة؛ لأن المقام لم يقتضِ التقديم هنا كما اقتضى هناك، وتأمل غير ما ذكرنا، قول الله تعالى: {ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [المائدة: 28]، تجد أن تقديم الجار والمجرور على المفعول في قوله: {ﮠ ﮡ ﮢ}، أفاد أنه كان حريصًا على قتل أخيه، وأن جُل اهتمامه متوجه إلى قتل الأخ لا إلى مطلق القتل، وفي هذا من التوبيخ والتبكيت ما فيه، وفيه أيضًا تنبيهٌ إلى ما هو مقبل عليه من خطأ، وفيه كذلك دعوى له أن يتأمل فيرتعد، وينزجر، ويكف عن قتل أخيه. وانظر إلى الأداة -إن- وإيفاد التعبير بها، وما ينبئ به ذلك من أن بسط اليد لقتل الأخ، ينبغي أن يكون من الأمور المستبعدة النادرة الوقوع، بخلاف "إذا" التي تفيد دائمًا تحقق الوقوع، ولذا آثر -إن- عليها في الذكر.**

**أما قوله: {ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ}، فقد أخر الجار والمجرور: {ﮨ}، عن المفعول: {ﮧ}؛ لأنه ليس حريصًا على قتل أخيه، بل ليس ممن يصدر عنه القتل مطلقًا، وينبئ بهذا أسلوب القصر: {ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ}، الذي أفاد نفي البسط عنه وإثباته لغيره، والقصة معروفة؛ أنها كانت بين قابيل وهابيل، فقابيل الذي أراد القتل، وهابيل الذي استسلم لذلك، وقال: {ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ}، وقد يكون التقديم من أجل المحافظة على الفاصلة ومراعاة النسق الصوتي، وماله من أثر في المعنى ووقع في النفس، كما في قول الله تعالى: {ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ}  
[طه: 66: 68]، حيث قدم المفعول: {ﭮ}، والجار والمجرور: {ﭬ ﭭ}، على الفاعل؛ لأنه لو قدم عليهما، فقيل: فأوجس موسى في نفسه خيفة، أو فأوجس موسى خيفة في نفسه؛ لكان في ذلك خروج على النسق الصوتي، وإخلال بموسيقى النظم، وما لها من وقع في النفس، وأثر في المعنى.**

**وقد تلحظ في تقديم المتعلقات، ما للمقدم من فضل ومزية على المؤخر، كما في قول الله تعالى: {ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ} [الحج: 27]، فقد قدَّم رجالًا؛ لأن من حج راجلًا أفضل منزلة عند الله  لما يقاسيه من الجهد والمشقة؛ ولذا قال ابن عباس {: "وددت لو حججت راجلًا"، فإن الله قدم الرجالة على الركبان في القرآن.**

**وتأمَّل قوله تعالى: {ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ}  
[آل عمران: 14]، تجد أن ترتيب المتعلقات قد لوحظ فيها، أفضليتها عند النفس، ومدى تعلقها بها، فالنساء أكثر تمكنًا في النفس من البنين؛ لما يظهر فيهن من قوة الشهوة، والبنين أقوى محبة من المال، والذهب أشد تمكنًا من الفضة، والخيل أدخل في المحبة من الأنعام، والأنعام أقعد من الحرث، إلى غير ذلك من الاعتبارات والمزايا البلاغية، التي تلاحظ في تقديم بعض المتعلقات على بعض.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**